(RECAP)

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

KVH
5/95

دعامات الدعوة

والأسس التي تقوم عليها

« أفمن أسس بنيانه على تقوى »

« من الله ورضوان .. خير أم من »

« أسس بنيانه على شفا جرف »

« هار فانهار به في نار جهنم »

دار الأرقم: المركز العام لشباب سيدنا محمد ٢٢ شارع البركة الناصرية السيدة زينب القاهرة

تنبيـــه

وقع خطـــأ فى ترقيم صفحات
هذه الرسالة فبدأت برقم ٢١ فما بعده
وقد رأينا لفت نظر حضرات القراء
إلى هـذا السهو حتى لا يلتبس الأمر
علـــيهم

المركز العـام

Dicāmāt al-da'wah...

دعامات الدعوة

والأسس التي تقوم عليها

«أفمن أسس بنيانه على تقوى»
«من الله ورضوان .. خير أم من»
«أسس بنيانه على شفا جرف»
«هار فانهار به في نار جهنم»

(Annex A)
BJ 1292
.Y6D525
1900z

شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

دعوة الإيمان والعزة والفضيلة

حزب الله

"إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم
راكعون ۞ ومن يتول الله ورسوله والذين
آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ۞

صدق الله العظيم

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPLS
32101 022166696

تصدير ..

هذه .. سبيلنا ..

عندما فكر الرعيل الأول، من شباب سيدنا محمد ﷺ في تكوين هذه الهيئة ، وضعوا نصب أعينهم أن تقوم على التقوى، وأن تلتزم آداب الدعوة المحمدية الأولى ، لذلك اتجهوا قبل كل شيء إلى دراسة عوامل الضعف في كثير من الجماعات والهيئات ، لتعرف أسبابها ، وتلمس العلاج الصحيح لها .

وهكذا وضع شباب سيدنا محمد ﷺ هذه الدعامات الخمس ، لتقوم دعوتهم عليها ، فتكفل لها - بعون الله - الوقاية من الضلال ، والسلامة من الأهواء ، وتوفر لها القوة الروحية ، المستمدة من الله وحده ، قوة الإيمان بالمبدأ ، والإخلاص في الدعوة ، والثقة في الله عز وجل

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ »

حسين محمد يوسف

أمين ألوية شباب سيدنا محمد ﷺ

٣ من شعبان سنة ١٣٧٢

الدعامة الأولى

تطهير الأسرة .. هو السبيل إلى تحرير الأمة

« لإصلاح المجتمع الإسلامى المتحلل ، ولإيجاد الأمة التى تفيض بالقوة والعزة والفضيلة ، وللإتجاه بالدعوة فى طريقها الطبعى، يجب البدء بتكوين الفرد المسلم ، فالأسرة المسلمة ، فالجماعة المسلمة ، لأن المجتمع ينقسم إلى جماعات ، والجماعات تنقسم إلى أسر ، والأسر تنقسم إلى أفراد ، فتطهير الأسرة من التحلل والفساد ، هو السبيل إلى تحرير الأمة من الذلة والإستعباد، ولا وجود للأسرة المسلمة إلا فى ظل الآداب والتقاليد الإسلامية الفاضلة .. التى بها وحدها ساد المسلمون وعلوا .. وأوجدوا المجتمع النموذجى الذى يفيض بالقوة والعزة والفضيلة ، وأسسوا الدولة المتحدة التى سادت العالمين ورفعت لواء الإسلام عاليا خفاقا » .

لقد اقتضت حكمة المولى عز وجل فى تشريعه لخير أمة أخرجت للناس أن تسير دعوة سيد المرسلين ﷺ سيرا طبعيا، وأن تمر بالمراحل التى يجب أن تمر بها كل دعوة جديدة . . فكان ﷺ فى أول أمره خفيا، يعمل لتهذيب نفسه، وتزكية روحه، ليكون أهلا للإرشاد بين الناس، وجديرا بحمل لواء الدعوة إلى الله . .

وبعد ثلاث سنوات نزل عليه قوله تعالى « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ » فكان ذلك إيذانا بالمرحلة الثانية من الدعوة ، التى تشمل الأهل والعشيرة، وتستهدف تطهير الأسرة المسلمة من ظلمات الشرك وأدران الجاهلية ، وبناءها على التوحيد والإيمان .

فلما انتهى ﷺ من القيام بذلك، أمره المولى عز وجل بالجهر بالدعوة إلى الناس عامة ، فقال تعالى « يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ، وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ »

فلما اجتمع لديه ﷺ من اجتمع على الحق من المسلمين، تكونت بهم الجماعة المسلمة ، التى كانت نواة للمجتمع الاسلامى الأول . . فالأمة الإسلامية الكبرى . .

إنمـــا الأمم الأخلاق

والأمم لاتقوم إلا بالأخلاق ، وقد جاء النبى ﷺ متمما لها ، كما ورد فى الحديث الشريف «إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ»(١)

والأسرة القوية هى التى تقوم على الفضيلة والطهر ، وتتأدب بما جاء به الإسلام من آداب وتعاليم ، وبمثل هذه الأسرة الفاضلة الطاهرة تقوى الأمة وتسود ، فإذا تطرق الفساد إلى الأسرة بابتعادها عن فضائل الإسلام ، تطرق الفساد إلى المجتمع بأسره ، وهوت الأمة إلى حضيض الشهوات ، وتعرضت لهوان العبودية والأسر ، بل تعرضت للفناء التام كما هو واضح فى قول الله تبارك وتعالى :

« أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ، وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَاراً ، وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ » (الأنعام - ٦)

* * *

ذلك أن الفضيلة هى عماد كل أمة ناهضة ، والوطنية الصادقة هى التى لا تقف عند حد الادعاء بحب الأوطان والغيرة عليها ، وإنما تمتد إلى الغيرة على الأعراض والشرف والكرامة ، وغير ذلك من المعانى السامية التى لا قيمة للوطن بدونها ، ولا طعم للحياة بعد فقدها

(١) ابن سعد والبخارى والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة باسناد صحيح

فليس الوطن تلكم الارض التى نطؤها بالاقدام فحسب، وإنما الوطن قبل كل شىء هو المجتمع الذى نحيا فيه حياة طيبة ، موفورى الكرامة، مرفوعى الرأس ،... هو المجتمع الذى نجد فيه الحرية والعزة التى كتبها الله لرسوله وللمؤمنين ،..هو المجتمع الذى تسود فيه كلمة الحق، ويعلو فيه صوت الإسلام، وتقام فيه شعائر الدين الحنيف.

فاذا ماضاع الشرف .. وانتهك العرض .. فلا وطن ولا كرامة ولا حرية ، ولبطن الأرض خير من حياة الذل والعار .

لذلك لم يكن عجبا أن يهاجر المسلمون الأول .. تارة إلى الحبشة، وأخرى إلى المدينة ،.. تاركين موطنهم الأول رغم حبهم له ، وتعلقهم به ، فرارا بدينهم من الفتنة ، وبحريتهم من الأسر ، وبأعراضهم من أن تمس بسوء ، إلى الأرض التى يطمئنون فيها على مقدساتهم .. ويستطيعون فيها تطبيق تعاليم دينهم .

كيف صان المسلمون مجدهم .. وكيف أضاعوه ؟

ولقد ظل المسلمون هم الأعزة، ما بقى أفرادهم معتصمين بآداب الإسلام، مطبقين لها ، داعين إليها ، فظلت بهم الأسرة طاهرة نقية ، وتكونت من هذه الأسرة الجماعة السليمة القوية ، فالأمة العزيزة الأبية ، فالدولة العظيمة المتحدة

فلما بدأ الفرد المسلم يتهاون فى دينه وتقاليده، فسد الراعى الأول، فتطرق الفساد إلى رعيته، ونفذ منها إلى الأمة بأسرها، ففقدت الكثير من رجولتها وخلقها .. وأضاعت حريتها واستقلالها !!

ومن هنا كان تطهير الأسرة هو الطريق إلى تحرير الأمة ، فإن الأسرة إذا شيدت على تعاليم الاسلام الصحيح ، شب أبناؤها أعزة أحرارا ، فكان لهم من إيمانهم القوى بالله ، مايكفل لهم رعايته ، ويطمئنهم إلى الركون إليه ، والإعتماد عليه ، وكان لهم من رجولتهم الموفورة وهمتهم الصادقة ، مايسمو بهم عن مواطن الذلة والصغار ، ويدفع بهم إلى مواقف العزة والفخار ، وبمثل هؤلاء تعتز الأمم ، وتسود الشعوب .

* * *

وإذا كان الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال ، هو الطريق الطبعى لأمة تريد استرداد حقوقها ، واستكمال عزتها المفقودة ، ومجدها الضائع فإن هذا الجهاد لن يقوم به ، ولن يصبر عليه ، إلا هؤلاء الذين شبوا على الإسلام .. وتغذوا بلبانه .. وفهموا حقيقته ، ونشأوا فى أحضان أسرة تمسكت بآدابه وتقاليده .. فتوفرت لهم الرجولة اللازمة لاقتحام الأخطار ، والعقيدة الواثقة بوعد الله ، الطامعة فى رعايته ونصره .. أو جنته ورضوانه ..

فمحال أن يلبى نداء الوطن ، أو يستجيب لداعى الله ، هؤلاء الغارقون فى شهواتهم ، المستهترون بحدود ربهم ، المتجاهلون لتعاليم دينهم . !!

محال أن يضحى من أجل كرامة الوطن هؤلاء الذين رخصت عليهم كرامتهم الخاصة ، فتركوا نساءهم وبناتهم وأخواتهم ، ومن هن تحت رعايتهم ، عاريات كاسيات ، يكشفن عن الصدور والنحور ،

ويبدين الأذرع والسيقان ، ويختلطن بالأجانب فى كل مكان . !!

محال أن يصبر على الأذى ، أو يقدم على التضحية ، هؤلاء الذين يقضون حياتهم بين الحانات والمراقص ، وبين الشهوات والدنايا . غير مبالين بما تعانيه الأمة من ذل واستعباد ، وما يقاسيه إخوانهم من بؤس وهوان .

فيا شباب سيدنا محمد ﷺ :

ضعوا هذه الحقائق نصب أعينكم ، واعلموا علم اليقين أن هذا الدين القيم الذى تكافحون فى سبيل إعلاء كلمته ، أعظم من أن يدافع عنه العابثون المستهترون .. وأجل من أن يجاهد فى سبيله المخنثون من أشباه الرجال .. وأسمى من أن يدعو إليه منافقون لا يؤمنون بفضائله ، ولا يعملون بآدابه ، فالذى لا يحس الغيرة على عرضه الخاص ، أضعف من أن يبالى بما يصيب عرض بلاده من احتلال واستعباد ، وأحقر من أن يكون محررا لوطنه ، عاملا لمجده وسيادته .

طـــريق النصر :

فإذا قلنا إن تطهير الأسرة من التحلل والفساد ، هو الطريق إلى تحريرها من الهوان والاستعباد ، فانما نقصد بذلك : إيجاد العزة التى فقدت ، وبعث الرجولة التى اندثرت ، وتهيئة الأمة لاستجابة أية دعوة لاسترداد مجدها ، وإعزاز كلمتها ، لأنه فى ذلك الحين ، سيكون لها من أخلاقها ورجولتها ، ومن إيمانها وعقيدتها ، ما يكفل لها النجاح ، ويضمن لها النصر المبين .

الدعامة الثانية

لا وسط بين الحق والباطل

يجب أن تعلن الدعوة إلى الناس كاملة دون نقصان، وأن تقدم صريحة لا عوج فيها أو التواء، ولا لين فيها أو ضعف، كى تؤدى الغاية المأمولة منها، وتثمر الاصلاح المنشود، فلا وسط فى الإسلام بين الحق والباطل، ولا بين النور والظلام ولا بين الفضيلة والفساد.

قال تعالى « وقُلْ الحَقُّ من رَبِّكم فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ومَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ » (الكهف: ٢٩)

وقال عز وجل « فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إلا الضَّلَالُ » (يونس: ٣٢)

وقال جل وعلا « فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (الزخرف: ٤٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد شاهدنا رسول الله ﷺ فى دعوته إلى ربه، أمينا على رسالته لم تلن قناته للوعود، ولم يفل من عزيمته وعيد، .. وهكذا .. كلما كان الإنسان مؤمنا بحقه، صادقا فى دعوته، كلما كان تمسكه بالحق كاملا، وتعصبه للدعوه تاما، وقد كان ﷺ أول المؤمنين، وأصدق الصادقين، وهو القائل لعمه عبارته الخالدة «يا عم: والله لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى يسارى علىَّ أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته» (١)

ذلك أن التهاون فى الحق، ليس له من معنى سوى ضعف إيمان الداعية إليه، وشكه فيه، ويأسه من نصر الله له، ومن كان هذا شأنه، لا يصلح أن يكون لدين الله داعيا، وللمسلمين رائدا، لأنه سينقل إلى القلوب ما يحس به من ضعف وشك، بدلا من أن ينقل إليها ما يفيض به قلبه من إيمان بالله، ويقين فى نصره، وما يضطرم به من غيرة على الحق، وثورة على الباطل.

أثر إيمان القائد فى نفوس جنوده

ولقد كان لذلكم المثل العظيم الذى ضربه الرسول ﷺ، فى تمسكه بأمر ربه، أعمق الأثر فى نفوس صحابته رضى الله عنهم،

(١) البداية والنهاية لابن كثير، عن ابن اسحاق: جزء ٣: ص ٤٨

فنهجوا نهجه ، وتحملوا فى سبيل عقيدتهم ماتشيب لهوله الولدان ، فلم يهنوا .. ولم يحزنوا ، ولم يملوا أو يلينوا ..

وكيف لا ؟ وهذا هو رسول الله ﷺ يشـــاطرهم الأذى ، ويشاركهم الآلام .. فلا يجيب على كل ذلك إلا بتلكم العبارة الصارمة ، التى تؤكد للمؤمنين صدقه ، وتقطع أمل المشركين فى تسامحه أو لينه !

استمد المؤمنون من هذه الروح العظيمة ، والنفس الـــكبيرة ، ماهو عليهم كل ألم ، وحبب إليهم كل تضحية ، فطابت نفوسهم بما يلقونه فى سبيل الله ، أملا فى مغفرته ، وطمعا فى نصره ، فكانت تضحياتهم .. وكان ثباتهم واستبسالهم ، وكان تمســـكهم بعقيدتهم ، كان كل ذلك سبب إعجاب المشركين بهم ، فإقبالهم عليهم ، فانضوائهم تحت لوائهم !

ولو أن الرسول ﷺ تسامح قيد شعرة فى تبليغ رسالته ، — وحاشا لله أن يفعل — لما قامت للدعوة الإسلامية قائمة ، ولما استطاع أنصاره أن تمتلىء قلوبهم بذلكم الإيمان الذى يجرف فى سبيله كل عقبة ، ويهون من أجل التمسك به كل مصير !

ولكن نفوس المؤمنين اشتعلت حماسة ، وامتلأت إيمانا بقول رســـول الله ﷺ لعمه « وَاللهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ .. ألخ » فاتخذوها شعاراً لهم ، ووضعوها نصب أعينهم ، فهانت عليهم الحياة ، وصغرت أمامهم الدنيا ، فى سبيل اعتصامهم بالدين ، وثبـــاتهم على العقيدة ..

مواقف الأبطال . . ومصارع الشهداء . .

من هذه القدوة الحسنة استمد بلال القوة فى صبره على العذاب، حينما ألقاه أمية بن خلف على الرمضاء الملتهبة ، فى أشـــعة الشمس المحرقة ، وقد أثقل صدره بحجر يزهق أنفاسه ، فلا يفتأ يردد فى محنته هذه كلمة التوحيد الخالصة ، «أحدٌ .. أحدٌ ..»

ومن هذا اليقين المحمدى الرائع، نهلت زنيرة جارية عمر بن الخطاب فسطرت صفحة ناصعة من الثبـــات والاطمئنان ، لقد كان عمر رضى الله عنه يتعهدها قبل إسلامه بالضرب حتى تكل يداه، فيقول لها ساخرا : « انى لم أكف عنك إلا كلا ! » حتى فقدت فى النهاية بصرها، دون أن تتزحزح قيد شعرة عن يقينها الذى ملك عليها كل شىء ، فلم تعد تبال بما يصيبها فى سبيل الواحد القهار ..

وهؤلاء هم آل ياسر، يصب عليهم المشركون أشد العذاب، ويمر بهم سيد المرسلين ﷺ فيتفطر قلبه لهم، ولكنه لا يسعه إلا أن يقول: « صبرا آل ياسر.. فإن موعدكم الجنة » فتنزل عليهم هذه الكلمات بردا وسلاما، ويستعذبون الهلاك فى سبيل الجنة التى وُعِدَ المتقون ، حتى قضى ياسر فى العذاب ، وطعن أبو جهل سمية أم عمار بحربة فى قلبها ، فكانت أول شهيد فى الإسلام .

أثر الدعوة الصادقة فى بناء مجد الإسلام

ولم تقف بسالة المؤمنين وتضحياتهم عند هذا الحد ، فى اقتفاء أثر النبى ﷺ فى تمسكه بحق الله كاملا ، وجهره بالدعوة إليه قوية عالية، بل لقد كان لهذا الأثر من القوة ما بعث فى نفوسهم أسمى معانى الفدائية

الحقة، ودفعهم إلى التسابق فى التضحية بالنفس والمال، فى سبيل بناء مجد الإسلام، وإعلاء كلمة الله والرسول ..

لقد رأينا فيهم من يقدم كل ماله إلى القائد الأمين، دون أن يخلف شيئا لأبنائه، فاذا ماسأله ﷺ عما ترك لأهله، أجاب: تركت لهم الله ورسوله!

ورأينا فيهم من يختار مفارقة الأوطان، والتشرد فى الآفاق، فرارا بدينه، وإنقاذا لعقيدته، وضنا بحريته وكرامته.

ورأينا آخرين يشاطرون إخوانهم المهاجرين أموالهم ومنازلهم. «وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ»

ورأينا منهم من يسأل قائده الأمين يوم التقى الجمعان عما يضحك الرب من عبده، فيجيبه «غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِراً» فلا يكاد يسمع ذلك حتى يلقى بدرعه جانبا، ويندفع إلى صفوف العدو يقاتل حتى يقتل!

ورأينا منهم من يطرق أذنه قول القائد الرسول: «قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ» فيرمى بثمرات كان يأكلهن، ويلقى بنفسه بين جموع المشركين مرددا:

ركضا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

ورأينا منهم من يلمح فى صفوف الأعداء أهله وعشيرته، فلا يخلتج

فى أعماقه أقل شعور من العطف عليهم ، أو الرحمة بهم ، بل يذهب إلى رسول الله ﷺ مستأذنا فى الخروج إليهم ، وضرب أعناقهم . « وَلَوْ كانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ »

نجاة الإســـلام . . بصلابة الصديق

ولقد سار الصديق رضى الله عنه على نهج رسول الله ﷺ ، لم تزده الأخطار إلا ثقة فى الله ، ولم ترغمه الشدائد على أن يتسامح فى حقه ، أو يتهاون فى مجاهدة أعدائه ..

ارتدت معظم القبائل عن الإسلام ، وفتكت بالمستضعفين فيها من المسلمين ، وطالبت أخرى باعفائها من الزكاة ، كشرط لبقائها فى الإسلام وأشار أغلبية الصحابة على خليفة رسول الله أن يقبل من مانعى الزكاة إسلامهم ، وأن لا يقاتل قوما يؤمنون بالله ورسوله ، ولكن أبا بكر وجد فى ذلك تهاونا لا يرضاه الإسلام ، وتفريـــطا فى حق الله والرسول ، فأجاب إجابة المؤمن الواثق بربه : « والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه »

وتقدم اليه الصحابة يشيرون عليه بإبقاء جيش أسامة ، وعدم إنفاذه لحرب الروم فى هذه الظروف الدقيقة .. ولكن أبا بكر أبا إلا أن يبعث ذلك الجيش الكبير فيما خصصه له رسول الله ﷺ وقال : « والله لأحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ ، ولو أن الطير تخطفتنا والسباع حول المدينة ، والكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين ، لأجهزن جيش أسامة »

وأشار عليه أكثرية الصحابة بالبقاء فى المدينة دفاعا عنها ، بدلا من

الخروج لقتال المرتدين، فما كان منه رضى الله عنه إلا أن قال منكرا:
« أين كثر أعداؤكم، وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب
والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون،
قوله الحق ووعده الصدق،.. بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرا بإذن الله والله مع الصابرين،

وبهذه الروح العالية .. التى لا تعرف وسطا بين الحق والباطل
وقف الصديق مواقفه الخالدة، وضرب المثل الرائعة فى الإيمان بالله
والتوكل عليه، حتى لقد بلغ به الأمر حين رأى تردد الناس من
حوله، أن يصيح فيهم، « أيها الناس: والله لو أفردت من جميعكم
لجاهدتهم فى الله حق جهاده، والله لو خالفتنى شمالى لقطعتها بيمينى »!!

وبهذه الروح القوية: أعاد الصديق للإسلام هيبته وسلطانه،
فدفعت القبائل الزكاة، وولى المرتدون الأدبار، وأستقر حكم القرآن
بالجزيرة إلى يوم الدين.

وبهذه الروح المؤمنة: يجب أن يتسلح شباب سيدنا محمد ﷺ
إن كانوا يريدون لدعوتهم العزة والكرامة.. ولدينهم السيادة والظهور.
فاعلنوها يا شباب محمد ﷺ.. صيحة مدوية بالحق، وأطلقوها
ثورة جارفة ضد الباطل، وقفوا فى كفاحكم من أجل الإسلام وآدابه
وتقاليده وقفة الأسود المدافعة عن عرينها.. وبلغوا ما أنزل إليكم من
ربكم، دون مجاملة لأحد، أو خوف من آخر، فالله معكم مادمتم به معتصمين،
وعليه متوكلين.. « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ »

الدعامة الثالثة

تجرد الدعوة .. عن المطامع والأهواء

يجب أن تقوم الدعوة خالصة لوجه الله تعالى دون طمع فى حكم أو سلطان ، أوسعى إلى سيطرة أو جاه .. كما يلزم أن يكون الداعية مبتغيا بعمله رضاء الله وحده ، لايتطلع إلى سيادة أو زعامة ، ولا يحرص على شهرة أو ظهور .

ذلك أن الإخلاص فى الدعوة هو أقطع سلاح لظهورها ، واقتناع الناس بمبادئها ، وثقتهم فى القائمين بها وقد قال ﷺ « إنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إلاَّ مَا كانَ لَهُ خَالِصًا ، وابْتُغِىَ بِهِ وَجْهُهُ ،

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف تقوم الدعوة الصادقة ؟

ليست الدعوة الإسلامية مجالا لتحقيق المطامع ، ، أو سبيلا إلى إشباع الأهواء .. إنها يجب أن تكون أسمى من ذلك وأجل .. يجب أن تكون طاهرة من كل هوى .. بعيدة عن كل مطمع، مجردة عن كل صغار أو استغلال .

بذلك وحده : تحتل الدعوة فى القلوب أسمى مكان ، ويكون لتوجيهاتها لدى الجميع كل تقدير واحترام .. لأنها قامت لله وحده، وما كان لله دام واتصل ، وما كان لغير الله انقطع وانفصل .

وهكذا .. فإن الإسلام لا يقر ذلكم التطاحن الحزبى من أجل الرياسة والسلطان ، وما يتصل به من معارك انتخابية ، واجتماعات سياسية ، وترشيحات وتزكيات .. لأن الولاية فى الإسلام لا تعطى لطالبها ، إنما هى فرض على الأكفاء ، والمطالبة بها مظهر من مظاهر حب الجاه والعلو فى الدنيا ، وهو من الآفات التى تحبط صالح الأعمال، ولا يليق أن يتصف بها المؤمنون الصادقون .

قال تعالى « تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ وَلا فَسَادًا .. والعَاقِبَةُ للمتَّقِينَ »

ولقد بين الله تعالى فى هذه الآية أن التقوى هى طريق العزة، وأن النصر قد وعد به المتقون، الذين يعبدون الله مخلصين له الدين، ويجاهدون فى سبيله لتكون كلمة الله هى العليا .. ، ويؤيد هذه المعانى قوله تعالى :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِى هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ »

فعلى المؤمن الصادق أن يجعل الدعوة إلى الله خالصة لوجهه، لا يريد بها جزاء ولا شكورا، والله عز وجل أعلم بمن اتقى،

« فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » (١)

نهى الإسلام عن طلب الإمارة

ولقد حرص سيد المرسلين ﷺ على تحذير أتباعه من التنافس على الولاية .. أو الحرص عليها .. ومن أبلغ ماورد فى ذلك حديثه لعبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه، حيث قال له .

« ياعبد الرحمن بن سمرة، لاتسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن اعطيها عن مسألة وكلت إليها » (٢)

ولقد فهم صحابة رسول الله ﷺ هذا المعنى فهما واضحا، لاغموض فيه ولا إبهام، فكانوا يفرون من الولاية فرار السليم من الأجرب، تهيبا منهم لمسئوليتها، وإشفاقا على أنفسهم أن يشوب إخلاصهم لله عز وجل، شائبة من حب الدنيا، والحرص على العلو والسيطرة فيها.

---

(١) البخارى ومسلم باسناد صحيح

(٢) رواه مسلم باسناد حسن

فهذا هو الصديق رضى الله عنه ، يخطب قومه بعد أن بايعوه على الخلافة واستتب الأمر له فيقول .

« وأيم الله ما حرصت عليها - أى - الخلافة - ليلا ولا نهارا ، ولا سألتها الله قط فى سر ولا علانية ، ولقد قلدت أمرا عظيما مالى به طاقة ولا يد ، ووددت أنى وجدت أقوى الناس عليه مكانى ، فأطيعونى ما أطعت الله ، فاذا عصيت فلا طاعة لى عليكم »

ولقد كان الصديق حقا هو أزهد الناس فى هذا الأمر ، فلم يطلبه لنفسه ، ولم يدع الناس إلى بيعته ، انما الذى دعاهم إلى ذلك عمر بن الخطاب فاستجابوا مسرعين ، تقديرا لاسبقيته فى الإيمان ، وصحبته لسيد الأنام ، فلما بلغه موقف الزهراء من خلافته ، خرج إلى الناس يقول « لا حاجة لى فى بيعتكم .. أقيلونى بيعتى » فقالوا يا خليفة رسول الله إن هذا الأمر لا يستقيم ، وأنت أعلمنا بذلك ، إنه إن كان هذا لم يقم لله دين ، فقال رضى الله عنه ..

« والله لو لا ذلك ، وما أخافه من رخاوة هذه العروة ، ما بت ليلة ولى فى عنق مسلم بيعة ، بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة »

ولقد روى عنه رضى الله عنه أنه قال .

« لقد سألت رسول الله ﷺ عن هذا الأمر فقال لى ، يا أبا بكر ، هو لمن يرغب عنه .. لا لمن يجاحش عليه ، ولمن يتضاءل عنه لا لمن يشمخ إليه ، وهو لمن يقال له هو لك .. لا لمن يقول هو لى .. »

ولو أن المسلمين حرصوا على التزام هذه الآداب العالية ، فى نظرهم إلى الولاية ، لما كانت كل تلكم الفتن التى أثارتها المطامع والأهواء فى كثير من العصور الاسلامية ، ولما سفكت تلكم الدماء التى سفكت من أجل الخلافة ، ولما شاهدنا الآن هذه المطاحنات المستعرة حول كراسى الوزارة ومقاعد البرلمان .. ، ولظلت الأمة المسلمة سليمة من الحزبية ، التى فككت عراها ، ومزقت شملها ، وحولت بأسها فيما بينها ، وحصرت كفاحها فى هذه الدائرة المظلمة .. دائرة الوصول إلى السيطرة والسلطان .

وجهة الإسلام . فى ولاية الأحكام .

وإذا كان الإسلام ينكر على أتباعه المخلصين ، التطلع إلى الولاية وينابيهم بالزهد فيها .. فهو فى الوقت نفسه لا يرضى لهم إلا العزة الكاملة ، المستمدة من الله ورسوله ، ولا يجيز لهم أن يحملوا أمانة الحكم إذا سيقت إليهم ، أو عرضت عليهم ، إلا وهم قادرون على أداء حقها ، وحماية ذمارها ، وإلا وجب عليهم رفضها والفرار منها ، لأنها لن تكون إلا غلا فى أعناقهم ، وفسادا لدينهم ودنياهم

لقد عرض على رسول الله ﷺ الملك والسيطرة والجاه .. وجاءه عتبة بن ربيعة يقول :

يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من السِّطَة (١) فى العشيرة والمكان

(١) أى من أواسط الناس وخيارهم ، لأن السطة من وسط ، مثل عدة وعظة من وعد ووعظ .

النسب « وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعاتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا لعلك تقبل منى بعضها :-

إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ..!

وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك!!

وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا .. »

رفض رسول الله ﷺ كل ذلك . لأنه يعلم أن قبوله مع عدم وجود العصبية الإسلامية الكافية لإعزاز كلمته ، وإملاء إرادته ، سيجعله تحت رحمة خصومه ، فإما أن يجاملهم فى حق الله ، طمعا فى الابقاء على الملك والسلطان - وحاشى لنبى أن يفعل ذلك - وإما أن يحرص على ذلكم الحق ، فيصطدم بأهوائهم ، ويتعرض لبطشهم دون أن يستطع دفاعا ، ولامتهانهم بإسقاطه من الملك ، وإبعاده عن السلطان.

من أجل ذلك : أعرض ﷺ عن كل تلكم الوعود ، واعتصم بربه وبمن معه من المؤمنين ، وفضل الصبر على الأذى ، والهجرة إلى المدينة ، على حكم زائل .. وسلطان باطل .. فلما اقتضت إرادة الله عز وجل أن يظهر دينه ، قيض لرسوله القوة اللازمة لاعزازه ، فعاد إلى مكة حيث دخلها دخول الفاتحين ، وحكمها بشريعة الله حكم الأعزة المكرمين ، لاحكم الاذلة الخاضعين ، أو العبيد المستضعفين.

موقف مصطفى كامل من الولاية الذليلة

هذه هى روح الإسلام .. نقدمها لمن كان له قلب أو ألقى السمع

وهو شهيد، «وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون»

من أجل ذلك.. لم يكن مصطفى كامل - رحمة الله عليه - إلا متبعا لهدى رسول الله ﷺ، بابتعاده عن الحكم فى ظل الاحتلال البريطانى المشئوم، ورفضه الوزارة عام ١٩٠٦ - وقد عرضها عليه رئيس الحكومة البريطانية «سير كامبل بانرمان» - رفضا باتا قاطعا، حيث أجابه على الفور..

«إن وطنيتى تأبى على أن لا أتولى منصبا فى حكومة بلادى مادام الاحتلال قائما، دعنا نتكلم فى مسألة الجلاء»

وواضح أن القوم لم يقصدوا إلا أن يكون الحكم صارفا للزعيم الصادق، عن المضى فى جهاده العنيف من أجل حرية بلاده، ورفعة شأن دينه، أو مقيدا له عن الإقدام والتضحية، فى سبيل نصرة عقيدته، وتحرير وطنه.

وطنية التجار.. وجهاد الخانعين!

فالمطالبه بالحكم - والتنافس عليه ليس من الاسلام فى شىء.. إنما هو فى الواقع بدعة غربية منكرة.. انتقلت إلينا عدواها من أوروبا كنتيجة طبعية لجهل الحكام بتعاليم الإسلام، وحرصهم على المجد الزائف وسيرهم فى ركاب الغاصبين، وهكذا انكبت الأمة فى السنوات الأخيرة بقوم اتخذوا الوطنية تجارة، والجهاد مغنما؛ والمناصب غاية مقدسة، فى سبيلها يستسيغون كل مهانة، ويحتملون كل صعب، ومن أجلها

يهون عليهم كل شيء ، ويرخص لديهم كل حق ، وتهدر عندهم كل كرامة.. رغم أن هذه المناصب .جميعها هى فى حقيقتها مناصب زائفة ، لا نفوذ لها ، ولا عزة فيها ،فهى مسيرة بغيرها، تظللها دائما سحب الذلة والضعة ، وتحيط بها ظلمات من العبودية والهوان .

وهكذا ساروا سيرتهم المنكرة ، تسيطر عليهم الأهواء ، وتذلهم المطامع ، فما استردوا للأمة حقا ، ولا منعوا عنها عدوانا، ولا أعلوا لها كلمة ، بل ازدادت الأمة بهم تدهورا وانحلالا ، وازداد العدو بهم جبروتا وبطشا ،وتحكما واستغلالا .

— فمصر اليوم — بل العالم الإسلامى أجمع — تفتقر إلى الهيئة المؤمنة المجاهدة — الهيئة التى لاغاية لها إلا الجهاد حتى النصر أو الشهادة .. الهيئة التى تسمو بنفسها فوق مختلف التيارات ، وتعلو بإيمانها فوق المطامع والشهوات ، وتثبت أمام كل العواصف ، حتى تحقق بعون الله كامل غاياتها ، وتعيد للدولة المسلمة حريتها المغتصبة، وعزتها المفقودة ، وسيادتها الأولى ..

لا مناصب ترجى .. ولا مصالح نقضى

من أجل ذلك .. فإن شباب سيدنا محمد ﷺ إذ يجعلون التعالى عن المناصب إحدى دعامات دعوتهم، فإنهم إنما ينهجون نهج الرسول الكريم ﷺ فى الوقت الذى يحيطون فيه دعوتهم بسياج متين من الحماية والوقاية، فلا ينضوى تحت لوائها إلا المخلصون، الذين لا يريدون إلا وجه الله ولا يثبت فى صفوفها إلا الصادقون ، الذين لا يرجعون منفعة، ولا يبغون

علوا أو فسادا ، وأولئك هم المؤمنون حقا.. وأولئك هم المنصورون بإذن الله ، ولو كره المبطلون .

فليفهم شباب سيدنا محمد ﷺ هذه الحقيقة حق الفهم ، وليعضوا عليها بالنواجذ ، إن كانوا يريدون رضاء الله ، ويطمعون فى تأييده ورضاه .

فلا مناصب عندنا ترجى ، ولا مصالح تقضى ، ولا آمال تبنى ، ولا وعود تبذل ، وإنما جهاد خالص ، وبذل مستمر ، وتضحية فى سبيل الله وحده .

فمن آمن بصواب ماندعو إليه ، ومن اقتنع بالحجة المؤيدة له ، فليضع يده فى يدنا .. ولينتظر جزاءه من الله وحده .. لأنه فى سبيله يعمل ، ومن أجله يجاهد ، ومن كان يريد الدعوة وسيلة إلى الدنيا، وما يضطرم فيها من أهواء ومطامع ، فليذهب إلى غيرنا ، كى لا يضيع وقته سدى .. وتذهب آماله هباء منثورا ؟

الدعامة الرابعة

إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا

يجب أن تقوم الدعوة على التقوى ، وأن يتوخى فى الانفاق عليها أطهر الموارد ، لتكون جديرة بنصر الله .. قريبة من عنايته ، وكل دعوة تزعم العمل لمجد الإسلام والجهاد فى سبيل الله والرسول ، ثم تدنس صفحات جرائدها باعلانات المسارح والسينمات، أونشرات البنوك والمحال الأجنبية .. أو تلوث دماءها بأموال اليانصيب ، أو تعتمد فى نشر دعوتها على الحفلات الساهرة ، أوغير ذلك من موارد لاتتفق مع طهر الدعوة ، وصدق العقيدة ، محال أن تقوم لها قائمة ، مهما كثر عددها ، وذاع صيتها ..

قال تعالى : « لا يَستَوى الخبيثُ والطيِّبُ ولَوْ أعجَبَكَ كَثرَةُ الخَبيثِ »

وقال ﷺ « إنَّ اللهَ تعالى طَيِّبٌ لا يَقبَلُ إلاَّ طَيِّبا »

لقد بنى الإسلام على النظافة والطهر - ظاهراً وباطناً - فحث أتباعه على الوضوء عند كل صلاة .. والاستحمام كل جمعة وعيد، والغسل بعد كل جنابة ، ودعاهم إلى نظافة الملبس والمأكل والمسكن، وحرضهم فى نفس الوقت على مجاهدة النفس وتطهيرها من أدران الحقد والحسد، والعجب والرياء ، والغيبة والنميمة ، والتملق والنفـــاق ، ... لأن هذا الدين القيم لا يقوم إلا على الطهر الكامل، ولا يزدهر إلا بالطيب الحلال ..

وبمقدار حرص المرء على نظافة ظاهره ، وطهارة باطنه، بمقدار مايكون قريبا من الله عز وجل ، جديرا برحمته، مؤيدا برعايته ونصره.

وبمقدار انغماسه فى الأقذار ، وتدنسه بالدنايا، وإقباله على المعاصى، بمقدار مايكون بعيداعن الله عز، وجل، بعيداعن رحمته وتوفيقه، قريبا من نقمته وعذابه .

التقوى عماد الأمم القوية

وشأن الأمم والجماعات فى ذلك شأن الأفراد..، فالأمة أوالجماعة التى تشيد صرحها على أسس من التقوى والطهر ، وتحرص فى تحقيق غاياتها على انتهاج أقوم المسالك ، والتزام أشرف السبل ، هى وحدها التى سيكتب لها الفوز عاجلا أو آجلا ، وهى وحدها التى يقدر لها السيادة والتمكين فى الأرض ، ولو كره الكارهون .

وبعكس ذلك : إذا أقامت الأمة أو الجماعة بناءها على أسس واهية ، وموارد ملوثة ، فلم تبال فى سبيل تحقيق غاياتها ، أى الطرق سلكت ، أو أى الموارد انفقت، فسواء لديها الطيب والحلال ، وسيان عندها الطهر والدنس ، فمثل هذه الأمة أبعد ما يكون عن النجاح فى تحقيق غاياتها ، ومثل تلكم الجماعة محال أن يبارك الله لها عملا ، أو يحقق لها أملاً ، أو يجيب لها دعاء .

ولقد بين سيد المرسلين ﷺ ذلك الأمر الخطير فى حياة الأمم والجماعات ، بيانا شافيا فى حديثه الجامع حيث قال :

« إنَّ اللهَ تعالى طَيِّبٌ لا يَقْبلُ إلاَّ طَيِّبًا ، وَإنَّ اللهَ أمرَ المؤمنينَ بما أمرَ بهِ المرسلينَ ، فقال تعالى (يا أيُّها الرُّسلُ كلُوا منَ الطَّيِّباتِ واعملوا صالحا) وقال تعالى: (يا أيُّها الذينَ ءامنُوا كلُوا منْ طيِّباتِ ما رزقْناكُمْ) ثمَّ ذكرَ الرجلَ يُطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ يمدُّ يديهِ إلى السَّماءِ . . يارَبِّ يارَبُّ ، ومَطعمُهُ حرامٌ ، ومَشربُهُ حرامٌ ، ومَلبسُهُ حرامٌ ، وغُذِيَ بالحرامِ فأنَّى يُستجابُ لهُ » (١)

حرص المسلمين الأول على مجانبة الشبهات

ولقد فهم المسلمون كل ذلك حقبة من الزمان ، فتوخى أمراؤهم وولاتهم أن يقيموا بناء الدولة على الطهر والتقوى، وراقبوا الله فى كل

(١) رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ويعتبر هذا الحديث من الأحاديث التى عليها قامت قواعد الاسلام ، وبنيت أحكامه .

شيء ، وحملوا أنفسهم ورعيتهم على الصراط المستقيم ، فعاشت الدولة عزيزة بخلق أمرائها ، قوية بطهر أبنائها ، واستحقت بذلك نصر الله ، فكانت لهـــا الكلمة العليا فى العالمين .

ولا عجب أن يحرص الأولون على الطيب الحلال وهم يسمعون سيد المرسلين ﷺ يبين لهم حسن عاقبته فى الدنيا ، وعظيم أجره عند الله فى الآخرة .. فقد قال ﷺ

« مَنْ طَلَبَ مكسبةً مِنْ حَلَالٍ يَكُفُّ بها وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ ، وَوَلَدَهُ وَعِيالَهُ ، جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ مَعَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ »(١)

وقال ﷺ : « مَنْ سَعَى عَلَى عِيالِهِ مِنْ حِلِّهِ ، فهُوَ كالمجاهِدِ فى سبيل اللهِ ، ومَنْ طَلَبَ الدُّنيا فى عَفافٍ كانَ فى دَرَجَةِ الشُّهَداءِ »(٢)

وقال ﷺ : « مَنْ أكلَ الحلالَ أربعينَ يَوْماً نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ ، وأجْرَى ينابيعَ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسانِهِ »(٣)

ولقد ضرب أمراء المؤمنين لأمتهم المثل العليا فى حرصهم على طهر أنفسهم ، حتى أن أبا بكر رضى الله عنه ، ما كاد يعرف أن ماشربه من لبن كان من طريق فيه شبه ، لأن عبده أخبره أنه تكهن لقـــوم فأعطوه ، حتى أدخل إصبعه فى فيه ، وجعل يتقيأ حتى أوشكت نفسه أن تخرج ثم قال : « اللهم إنى أعتذر إليك مما حملت العروق ، وخالط الأمعاء » فلما أخبر رسول الله ﷺ بذلك قال « أوْ مَا عَلِمْتَ أنَّ الصِّدِّيقَ لا يُدْخِلُ جَوْفَهُ إلاَّ طَيِّباً »

---

(١) أبو منصور فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة

(٢) الطبرانى فى الأوسط (٣) أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى أيوب

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول، كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع فى الحرام!

وروى أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ أن يدعو له كى يكون مجاب الدعوة فقال له: «أطِبْ طُعْمَتَكَ.. تُسْتَجَبْ دَعْوَتُكَ».

هذا قليل من كثير مما تفيض به الآثار والأخبار، يصور لنا حقيقة تلكم النفوس المطمئنة، التى عرفت ربها، وتلكم الدولة المباركة التى شادها أولئكم الأطهار البررة، وروتها دماؤهم الزكية.

هؤلاء هم الذين نصروا الله فنصرهم، ومكن لهم فى الأرض، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا، وآتاهم ماوعدهم به على رسله.

كيف ذل المسلمون.

ولقد ظل المسلمون هم السادة الأعزة، ماظلوا محتفظين بنظافة دولتهم وطهر وسائلهم، ونقاء قلوبهم..

ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فاقبلوا على الخبيث ينهلون منه، وعلى الحرام يتغذون به، وعلى الدنايا يتمتعون بها..

تلوثت دماؤهم بالخمور، وتغذت أجسامهم بالحرام، وتدنست أرواحهم بالمعاصى والفجور، فعصفت ريح الدنايا بفضائلهم، وفتك خبث الشهوات بطهرهم، فانهار ذلكم البناء الشامخ الذى شادته فضائل السلف، وغدا المسلمون بدنسهم عبيدا مستضعفين، بعد أن كانوا سادة حاكمين

استساغ المسماون الشبهات أفرادا وجماعات، فحبطت أعمالهم، وحق عليهم وعيد نبيهم حيث قال :

« مَنْ أصاب مالا من مأثم، فوصل به رحما، أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله، جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار » (١)

وقال ﷺ : « مَنْ اشترى ثوبا بعشرة دراهم في ثمنه درهم حرام، لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء » (٢)

استساغ المسلمون الشبهات فأغضبوا ربهم، وأهلكوا أنفسهم وأولادهم لأن « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » (٣)

استساغ المسلمون الشبهات .. أفرادا وجماعات، فوقعوا في الحرام .. تصديقا لحديث سيد المرسلين ﷺ :

« إنَّ الحلالَ بيِّنٌ وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ، وبينهما أمورٌ مشتبهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمنِ اتقى الشبهاتِ فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهاتِ وقع في الحرام، كالراعي حولَ الحمى يوشكُ أن يرتعَ فيه، ألا وإنَّ لكلِّ ملكٍ حمًى، ألا وإنَّ حمى اللهِ محارمُهُ، ألا وإنَّ في الجسدِ مضغةً إذا صلحتْ صلحَ الجسدُ كلُّهُ، وإذا فسدت فسدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلبُ » (٤)

---

(١) رواه أبو داود (٢) رواه أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما
(٣) الترمذى باسناد حسن
(٤) رواه البخارى ومسلم عن أبى عبد الله النعمان بن بشير رضى الله عنهم جميعا

ولقد شرب المسلمون الكأس حتى الثمالة ، وصبغت حياة أفرادهم وجماعاتهم ودولهم بصبغة قاتمة ، هى أبعد ما يكون عن نصاعة الإسلام وصفائه ، وأقرب ما يكون إلى ظلمات الجاهلية الأولى ، تلكم الظلمات التى بعثتها المدنية الغربية فى العصور الأخيرة ، وأضافت إليها ظلمات أخرى .. بعضها فوق بعض !

لم يفهم القوم أن تحقيق الخير لا يكون باغضاب الله والرسول ، فأقاموا باسم البر والإصلاح حفلات صاخبة ، وليالى ساهرة ، وانتهكوا من الحرمات ماتكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، فظهرت نساؤهم عاريات كاسيات ، متبرجات متعطرات ، يخالطن الأجانب ، ويراقصن الفجار ، ويعاقرن الخمور ، وغير ذلك مما يتندى له الجبين خجلا ، وترتجف له الأوصال حمية وغيرة ، حتى إذا ماانصرم الليل فى ذلكم الإجرام الشنيع ، والإباحية المنكرة ، أخذ القوم يحصون فرحين ماجمعوه من سحت وحرام ، وما باعوا به الفضيلة والشرف ، ليعلنوا للناس نجاح حفلاتهم الدنسة ، ولياليهم الداعرة !

ياحسرة على العباد !

إن مئات الألوف لأحط شأنا ، وأوضع قيمة من ظهور امرأة مسلمة واحدة ، فى هذا المظهر المنافى للدين والرجولة والشرف !

إن ألوف الملايين لأحقر ثمنا من معانقة امرأة مسلمة واحدة لرجل أجنبى ، تلكم المعانقة المخجلة التى تستلزمها آداب الرقص الأوروبى

على نغمات الموسيقى !!

إن كنوز الأرض كلها ، لا تخف وزنا من معاقرة امرأة مسلمة واحدة لكأس من الخمر ، تجربه فى أحشائها أذيال جهنم ، وقد تفقد فيه آخر ذرة من عفة وشرف ! !

مرت امرأة عربية بقوم فقدموا لها شرابا مختمرا .. فما كاد يستقر فى أعماقها حتى سألت القوم ، أيشرب نساؤكم من هذا ؟ قالوا نعم ! قالت زنين ورب الكعبة، فما يعرف أحدكم أباه . .

* * *

ثم ماذا بعد ذلك ؟

تذهب هذه الأموال المجموعة من السحت والحرام ، فى غير بركة من الله ، وتبقى للأمة هذه السموم ، تنخر فى عظامها ، وتفتك بفضائلها ، وتقوض فى النهاية أركانها !

فما أحقر هذ الكسب الدنىء ؟

وما أغلى الثمن الذى يدفع فيه من دين وأخلاق وأعراض؟

وما أعظم السخط الذى تتعرض له الأمة بهذه الدنايا ، التى ترتكب باسم البر وباسم الخير ... سخط الله العزيز المنتقم الجبار .

ذلك أن طريق البر ليس فى معصية الله .

ذلك أن سبيل الخير ليس فى انتهاك حرماته ..

ذلك أن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا .

مسئولية الهيئات الإسلامية

وإذا كان هذا شأن بعض الأفراد المتأدبين بغير آداب الإسلام، فى نهجهم للخير وسعيهم للإصلاح، وشأن الجماعات (الخيرية) التى لم تصدر عن دافع دينى صحيح، فقد كان من المنتظر من الهيئات الإسلامية التى تنادى بالحكم بالقرآن، واتباع شريعة خير الأنام، كان من المنتظر من هذه الهيئات أن تكون أشد حرصا فى تحرى الطيب الحلال، وأكثر دقة فى إقامة دعوتها على الطهر، بل كان من المنتظر منها أن تتصدى لمقاومة ذلكم الفهم الخاطىء للدين، ومحاربة ذلكم البر الذى يحمل بين طياته الاثم الخطير، والضرر الكبير.

كان من المنتظر من الهيئات الإسلامية أن لا يغفلوا عن كل ذلك، لا باعتباره واجبا من واجباتهم الإسلامية المقدسة فحسب، بل باعتباره السبيل الوحيد إلى نصرة دعوتهم، وتحقيق أمانيهم.

ولكن أكثر هذه الهيئات ويالأسف جهلوا هـذه الحقيقة أو تجاهلوها .. فلم يتجاوزوا عن الشبهات فحسب، بل انغمسوا فى الحرام .. وتنافسوا فى التزود منه !!

لقد قبلوا من الأموال السرية .. ما تدفعه الحكومات فى سبيل أهوائها الحزبية .. ومناوراتها السياسية.

ولقد تنافسوا على الأعانات المقررة لهم من وزارة الشئون الإجتماعية وهم يعلمون حق العلم أنها مجموعة من ضرائب الملاهى والحانات والمراقص

ولقد نشروا إعلانات السينما والمسارح، وهم يعلمون أنهم بذلك يروجون لإثم كبير وفساد خطير.

ولقد نشروا إعلانات المصارف المالية (البنوك) وهم يعلمون حق العلم أنها قائمة على الربا !

ولقد استحل البعض منهم الميسر تحت ستار ما يصدرونه من يانصيب لأعمالهم الخيرية، ومشروعاتهم الإنسانية .

فعلوا كل ذلك .. وفعلوا أكثر منه ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ويظنون أن فى استطاعتهم إعلاء كلمة الله، وإنهاض مشروعات البر ، بالمال السحت ، والإحسان الملوث بالدنايا .. ساء ما يحكمون .

متناقضات ! !

وكيف يمكن نصرة الإسلام بالمال الحرام ؟

وأى نوع من الإيمان هذا الذى يجمع أصحابه بين الدعوة إلى إغلاق الحانات والكباريهات مثلا ، وهم يقبلون شاكرين الأموال المجموعة من الضرائب المفروضة عليها؟؟

وأى عزم أو حزم هذا الذى يكافح به القوم العقبات التى تعترض طريقهم فى مقاومة هذه الموبقات، وهم يعلمون حق العلم أن تغلبهم عليها سيؤدى إلى حرمانهم من نعمة كبرى .. ومال وفير !

فكيف تقوم لمثل هذه الهيئات قائمة ؟

وكيف يستفيد الإسلام والمسلمون منها والله تعالى يقول :

« أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ .. خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » التوبة : ١٠٩

ومن أجل ذلك: ذهبت جهود هذه الهيئات سدى، وراحت أصواتهم كصرخة فى واد، لأن هذه الأصوات لم يتوفر لها من الطهر والإيمان مايكفل لها الهيبة فى صدور الحكام، والثقة فى قلوب المؤمنين، فلم ينتصر بهم الدين بل ازداد هوانا، ولم تنهزم بهم الدنايا، بل ازدادت ذيوعا وانتشارا .. و « لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ .. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » التوبة : ١١٠

فلا عجب أن خابت حتى الآن معظم الدعوات الإسلامية، ولا عجب إذا لم نحس لها أثرا - أو نسمع لها ذكرا .. ولا عجب إذا استمر الإسلام فى وضعه الحالى .. غريبا فى بلاده ، ، لاتطبق آدابه ، ولا تقام حدوده ، ولا يتبع هديه .

لاعجب فى كل ذلك !! لأن أغلب هذه الدعوات قد سرت فى روحها سموم الأموال السرية ، والاعلانات القضائية ، ونشرات البنوك والملاهى ، وغير ذلك من موارد لاتتفق مع طهر الإسلام ، ولا ترضى الله والرسول .. و « إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ »

* * *

فياشباب سيدنا محمد ﷺ

إنكم العصبة المؤمنة الصادقة ، التى هديت - إلى الصراط المستقيم، وعرفت النور من الظلمات .. وميزت الهداية من الضلال ، والفضل فى ذلك لله وحده ، الذى به تعتصمون، ومن أجله تكافحون وتصبرون، فعضوا بالنواجذ على ماوفقتم إليه، ولا تملوا طول الطريق، ولا توهنكم العقبات .. فإن النصر مع الصبر .. وإن مع العسر يسرا .

إنكم أقل عددا وأفقر موردا - ومع ذلكم فقد سطرتم بفضل الله حتى الآن صفحات من نور.. وقد صمدتم فى ميادين الحق حين وقف الاكثرون عددا موقف المتفرج عليكم ، المتربص بكم ، ولقد ارتفع صوتكم يدوى كالزئير دفاعا عن الإسلام ، وذودا عن آدابه وتقاليده وغضبا لحرماته أن تنتهك ، ولأعراضه أن تدنس ، فعلتم كل ذلك رغم قلتكم ، بينما اكتفى الآخرون ، بالضجة الجوفاء .. والمظهر الزائف.

فعلتم كل ذلك أيها الأشبال .. بفضل الله وحده ، لأنكم استجبتم لندائه .. واتبعتم سبيله .. لأنكم حرصتم على أراحكم فطهرتموها من الدنايا ، وعلى دعوتكم فحفظتموها من السحت والحرام .. فكنتم رغم قلتكم أقرب إلى الله ، وأحق بنصره وحماه ..

لقد عرضت عليكم المئات والألوف . فأبيتم إلا أن تضفعوا بها وجوه الطامعين فى كرامتكم ، الراغبين فى استغلالكم ، وظللتم حتى الآن فوق الجميع رغم قلتكم .. تزهون فخرا بنقاء صحيفتكم وطهر ماضيكم ، فلم تدنس صحيفتكم باعلان واحد لمسرح من المسارح .. أو مصرف من المصارف .. أو شبهة من الشبهات .. ولم يختلط بدعوتكم مليم واحد من أموال سرية .. أو إعانات ملوثة

فلا تضيفوا إلى قلتكم ضعفا ووهنا .. « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » ؟؟ ..

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين »

الدعامة الخامسة..

النصر من عنـــد الله . . وحده

يجب أن تستمد الدعوة قوتها من الله وحده ، وأن لا يترقب القائمون بها النصر إلا منه ، فلا يعتمدون إلا عليه ، ولا يخشون فيه لومة لائم ، وليعلموا علم اليقين أن لا سبيل إلى نصر الله ، إلا بطاعته ورضاه ، وعبثا نرجو نصره ، ونطمع فى رعايته وتأييده ، فى الوقت الذى نجامل فى حقوقه ، ونتسامح فى أوامره ، ونرجو العون من غيره ، ونركن إلى الذين يحادونه ، ويحكمون بغير ماجاء فى محكم تنزيله .

قال تعالى « إن يَنْصُرْكُمُ الله فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وإن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِّن بَعْدِهِ ، وعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ » آل عمران : ١٦٠

وقال تعالى « وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ . . وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللهِ مِن أَولِيَاءَ . . ثم لاَ تُنْصَرُونَ » هود : ١١٣

من بدر .. إلى حنين

لقد من الله على المؤمنين ، إذ نصرهم فى بدر رغم قلة عددهم ، وضعف عددتهم ، قال تعالى .

« وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » آل عمران : ١٢٣

ولقد هزم المسلمون فى حنين رغم كثرة عددهم .. ووفرة عدتهم فولوا الادبار أمام عـــدوهم .. وزلزلت الأرض تحت أقدامهم ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ولولا أن تولاهم الله برحمته وأيدهم بجنده وملائكته ، لدارت الدائرة عليهم .

وهكذا .. لا يتوقف النصر من الله على أسباب مادية ، ولا يرتبط بوفرة العدد ، أو كثرة العدة .. وإنما يرتبط بأسباب أخرى هى التى يجب أن يحرص المسلمون على فهمها ، ويعضوا بالنواجز عليها ..

لقد انتصر المؤمنون فى بدر وهم قلة .. لأنهم آمنوا بربهم واعتمدوا عليه ، واتجهوا إليه ، فايدهم الله بروح من عنده ، وثبت أقدامهم ، وألقى الرعب فى قلوب عدوهم ، والله غالب على أمره .. ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

« إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ، فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا

سَأُلقِى فى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ، فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنهُمْ كلَّ بَنَانٍ ، ذَلِكَ بِأنَّهُمْ شَاقُّوا الله ورسوله ومَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ » الأنفال : ١٢

* * *

كان المؤمنون فى بدر ثلاثمئة وثلاثة عشر ، لايحملون إلا السيوف فى أغمادها ، يقابلهم زهاء ألف من المشركين ، قد تحصنوا بالدروع ، وتزودوا بالسلاح ..

وكانت عدة فرسان المؤمنين اثنين يقابلهم مائتان ، وعدة إبلهم سبعين يقابلهم ستمائة !

ومع كل هذه الفوارق فى العدة والعدد .. وقعت المعجزة .. فاكتسح المؤمنون عدوهم ، وشتتوا شملهم ، وأصابوا مائة وأربعين منهم بين قتيل وأسير ، ولم يستشهد من المؤمنين سوى ثلاثة عشر رجلا ! !

كان إيمان المؤمنين بربهم ، خير عوض لهم عن قلتهم ، وكان إخلاصهم الجهاد لوجهه ، وحرصهم على طاعته ، أقطع سلاح فى أيديهم ، فلم يفكروا فى شىء بعد أن أيقنوا أن الله معهم ، فالتفوا حول قائدهم العظيم ، التفاف السوار بالمعصم ، يؤكدون له إيمانهم بدعوته ، ويقولون له وقد سمعوا بكثرة عدوهم ، ووفرة أسلحتهم « يارسول الله إمض لما أراك الله فنحن معك ، والله لانقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » ثم يكررون

له البيعة على الفداء ، بلسان سيد الأنصار - سعد بن معاذ - إذ يقول : -
« يارسول الله : لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ، والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصُبُرٌ فى الحرب صُدُقٌ فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ماتقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ! »

بتلكم الروح المتأججة .. وبذلكم الإيمان الذى يدك الرواسى ، انتصر المؤمنون بفضل الله وحده .. « وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ »

* * *

ولقد خرج المسلمون يوم حنين فى عدد لم تشهده الجزيرة من قبل ، وفى عدة لاقبل لأحد بها ، حتى داخل العجب بعضهم فقال :
« لن نغلب اليوم من قلة » !!

غفلوا لحظة عن أن النصر من عند الله وحده .. واطمأنو إلى كثرتهم وعدتهم ، فدفعوا الثمن غاليا من دمائهم وأرواحهم ، فلما شد عليهم المشركون شدة رجل واحد ، وأقبلوا عليهم بخيلهم ورجلهم ، انهزموا ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت .. ثم ولوا مدبرين !!

كانوا أربعة عشر الفا ، لم يثبت منهم حول رسول الله ﷺ سوى عشرات قليلة ، أنزل الله السكينة عليهم ، فصمدوا فى وجه ذلكم

السيل الجارف من المشركين ، وواجهوا جحافلهم صفا واحدا كالبنيان المرصوص .

ونادى العباس المنهزمين قائلا :

يامعشر الأنصار الذين آووا ونصروا !!

ياأصحاب الشجرة !!

دوى صوت العباس فى آذان بعض المؤمنين ، فتذكر الأنصار منهم بيعة العقبة على حرب الأسود والأحمر من الناس، وتذكر المهاجرون بيعة الشجرة على الموت فداء لله ورسوله ، فأجابوا من الأعماق :

لبيـــك .. لبيـــك !!

وعادوا إلى الرسول ﷺ فبلغ عدد من ثبت معه مائة !

نعم ، مائة مؤمنة ، تستمد كل العون من الله وحده .. هذه المائة هى التى واجهت الألوف العديدة ، بقلوب من حديد .. قلوب ملؤها الايمـــان بقدرة الله وبطشه ، وعزته وقهره ، فاذا بهذه المائة تصمد وتثبت ، وإذا بها تقهر وتظفر .. وإذا بها وقد شتتت شمل الجحافل الجرارة، وأسرت الألوف المؤلفة..وغنمت الغنائم الوفيرة، وبدلت هزيمة المسلمين نصرا مؤزرا، وفوزا عظيما !!

الله اكبر !! ما أعظم العبرة - وما أروع الدرس !

الله اكبر!! مائة مؤمنة تحقق بتوكلها على الله ، واعتصامها بحبله ، ما عجز عن تحقيقه أربعة عشر ألفا، غرتهم كثرة عددهم ، وأعجبتهم وفرة عدتهم!!

«وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا، وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ» التوبة : ٢٥،٢٦

ما نقاتل القوم .. بعدة ولا كثرة

وفي غزوة مؤته .. كانت المعجزة أكبر .. والنصر أعظم وأروع، لقد كانت عدة المؤمنين ثلاثة آلاف .. فإذا بهم يجدون أنفسهم وجها لوجه أمام جيش جرار من العرب والروم، يبلغ مقداره مائتي ألف مقاتل، كاملي العدة والعتاد ..

تردد المؤمنون لأول وهلة، وحق لهم أن يترددوا، فما كان ليخطر ببالهم أن يقابلوا قوة تفوقهم سبعين ضعفا، وما كان لهم أن يقرروا أمرا إلا بعد دراسة للموقف، ومشورة بينهم، أيواصلون طريقهم إلى الإمام ؟؟ أم يعودون أدراجهم إلى الوراء ؟؟ أم يقفون في أماكنهم حتى يأتيهم مدد من رسول الله ﷺ أو يرسل إليهم بأمره ؟؟

هنالك وقف عبدالله بن رواحة رضي الله عنه .. فصاح بهم صيحة البعث والإيمان .. وصرخ فيهم مذكرا ونذيرا ..

« ياقوم والله إن التي تفرون منها للتي خرجتم تطلبون الشهادة ..

وما نقاتل القوم بعدة ولا كثرة .. إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي

أكرمنا الله به ، فسيروا فإنما هى إحدى الحسنيين . . النصر أو الشهادة.

اخترقت هـــذه الصيحة المدوية آذان المؤمنين ، واستقرت فى أعماقهم .. فكشفت أمامهم الحجب التى أخفت الحقيقة عنهم ، وتذكروا أنهم جنود الله .. وأن النصر من عند الله .. فقالوا : « صدق والله عبد الله بن رواحه » وأقبلوا على عدوهم كالجبال الرواسى ، فإذا بهم ينالون منهم ، ويتغلبون عليهم ، وإذا بهذه القـــلة المؤمنة ، يرتد أمام إيمانها جموع العرب الكثيفة ، وجحافل الروم الجرارة !!

روح الدعوة المحمـــدية

هذا قليل من كثير مما تفيض به صفحات الدعوة المحمدية ، وما يؤكد أن هذه الدعوة العتيدة لم تظهر بكثرة أو قوة ، وانما ظهرت فقط لأن العاملين لها ، والمجاهدين فى سبيلها ، علموا علم اليقين أن الخير بيد الله يؤتيه من يشاء ، وأن الموت والحيـــاة بإذنه ، واطمأنوا إلى أن الآجال معدودة ، والأرزاق محدودة ، فانفقوا فى سبيل الله دون خشية من فقر ، وقاتلوا لإعزاز دينه وإعلاء كلمته دون جزع من موت ، وعلموا أن لا نصر إلا من عنده ، وأن لا قوة إلا به ، فـــلم يعتمدوا إلا عليه ، ولم يتزودوا بخير من تقواه ، ولم يحذروا أكثر من سخطه ، ولم يخشوا فى الحق كبيرا ، ولم يهابوا جبارا ، ولم يجاملوا ظالما ، فرضى الله عنهم ورضوا عنه ، واتخذوا الله وليا ، فاتخذهم الله جندا لدعوته ، وانصارا لنبيه ورسوله ، وأمدهم بروحه ، وأيدهم بنصره ، ومكن لهم فى الأرض ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا . .

هذه هى الروح التى سيطرت على المؤمنين الأولين، فجعلت من أقل فرد منهم قوة هائلة، قوة ترجح العشرات والمئات، بل ترجح الأمم بأسرها!!

كان الصحابى رضى الله عنه يشعر بأنه قوى بحقه، كثير بربه، عزيز برعايته وحمايته، فكان يخـــوض المنايا بقلب مطمئن، وكان يقتحم الصفوف وحده، وهو موقن بقدرته على تشتيت شملها، لأنه لايستمد قوته وعزته وإيمانه من أسباب مادية، أواعتبارات دنيوية، إنما يستمد كل القوة وكل العزة من مصدرها الحقيقى. من رب العالمين، الذى لايعتز إلا بطاعته، ولا يحذر أكثر من معصيته.

كونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم

ولعل من أروع الامثلة التى تصور تلكم الروح القوية، التى سيطرت على الأمة المحمدية فى الصدر الأول، فارتفعت بها من حضيض الذلة والمهانة .. إلى سماء العزة والكرامة، ذلكم التوجيه القوى، الذى بعث به الفاروق عمر بن الخطاب إلى قائده «سعد بن أبى وقاص» يبين له أسباب النصر، ويوضح له عوامل الهزيمة .. ويرسم له طريق النور والفلاح، واضحا لاغموض به، مستقيما لاعوج فيه. حيث يقول «أوصيك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون لمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا طاقة بهم، لأن

عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعددتهم ، فإذا استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم »

هذه هى وصية الفاروق رضى الله عنه ، وجزاه عن أمة محمد خير الجزاء ، وكأنه كان ينظر خلال حجب الغيب ماسيقع بالمسلمين بعد أربعة عشر قرنا، حيث دمرت المعاصى مجدهم ، وقوضت دولتهم !!

طـــريق الهاوية

نعم : لقد ذل المسلمون حينما غفلوا عن أن أسباب النصر مرتبطة بطاعتهم لله ، وأن عوامل الهزيمة متعلقة بمعصيتهم له، ففرطوا فى حقوقه وتجاءروا على معصيته ، وعطلوا حدوده ، وانتهكوا حرماته ، فنزع الله من قلوب عدوهم المهابة منهم ، وجرأهم عليهم ، فاحتلوا ديارهم ، وتحكموا فى أموالهم وأعراضهم ودمائهم ، « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » هود : ١١٧

ولا عجب.. فلقد تساوى المسلمون مع عدوهم فى محاداتهم لله ورسوله ففضلهم العدو بعدته وعدده ، وألقى الله الوهن فى قلوبهم بمعصيتهم له ، فأحبوا الدنيا ، وكرهوا الموت، لأنهم لم يعدوا العدة لاستقباله، فتفرقت قلوبهم ، وذهب ريحهم وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول « لَا زِلْتُمْ مَنْصُورِينَ عَلَى أَعْدَائِكُمْ مَا دُمْتُمْ مُتَمَسِّكِينَ بِسُنَّتِي ،

فَإِنْ خَرَجْتُمْ عَنْ سُنَّتِي سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ مَنْ يُخِيفُكُمْ ، فَلَا يَنْزِعُ الْخَوْفَ مِنْ قُلُوبِكُمْ حَتَّى تَعُودُوا إِلَى سُنَّتِي »

ومازال المسلمون — شعوبا وحكومات — منحدرين فى طريق الهاوية ، معرضين عن كتاب الله وسنة رسوله ، يلتمسون من غيرهما الخروج من الظلمات فلا يزدادون إلا ضلالا .. ويبحثون عن النجاة وقد ادلهمت الخطوب ، فلا يزدادون إلا خسرانا مبينا .. مع أن النور يستطع أمام أعينهم ، وطريق النجاة واضح بين أيديهم ولكن . « إنها لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ »

ولن تقوم للإسلام قائمة ، مالم يعد المسلمون سيرتهم الأولى فيقيموا دولتهم على التقوى ، ويطهروا مجتمعهم من الدنايا ، ويعلموا علم اليقين أن لانصر مع معصية واستهتار ، وأن لا هزيمة مع طاعة لله وتوكل عليه ، وجهاد فى سبيله . .

« إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ » الحج : ٣٨

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . .

وليس معنى ذلك كله أن يتهاون المسلمون فى الأخذ بأسباب النصر اكتفاء بطاعتهم لله ؛ واعتصامهم بحبله ، بل عليهم أن يعدوا العدة ، ويحكموا التدبير ، ويستزيدوا من وسائل القوة ، وأسلحة الكفاح ، استجابة لأمر الله تعالى : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . . »

على المسلمين أن يأخذوا بكل هذه الأسباب ، ولكن عليهم فى الوقت نفسه أن لا يغفلوا عن أن مسبب الأسباب هو وحده الذى إليه تصير الأمور، وهو وحده الذى بيده النصر يمن به على من يشاء ويصرفه عمن يشاء .. « إن يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ »

« وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ »

« وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ »

رسالة شباب سيدنا محمد ﷺ

وهذه هى رسالة شباب سيدنا محمد ﷺ .. أن ينبهوا أمتهم إلى خطورة المعاصى ، وأثرها فى ضياع المجد والسيادة ، وذهاب الحرية والكرامة، وسيطرة العدو على البلاد .. وأن يأخذوا بيدها إلى طريق النصر ، طريق الله والرسول ، طريق الإيمان والتقوى ، طريق الفضيلة والإخلاص .

فيا شباب سيدنا محمد ﷺ .

إن الآمال معلقة بكم فلا تخيبوها ، وإن الأمانة قد وسدت إليكم فلا تخونوها . وإن الاعداء ليتربصون بكم الدوائر ، فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ..

سيروا أيها الشباب المؤمن فى طريق الله بخطوات ثابتة ، وأقدام راسخة ، وقلوب مطمئنة ، وعضوا بالنواجذ على طاعة ربكم ، فلا

تلجأوا فى الشدائد إلا اليه ، ولا تعتمدوا فى الملمات إلا عليه ، وليكن شعار كل منكم قوله تعالى : -

« وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم »

- إن النصر من عند الله وحده .. فلا تأملوا القلة عددكم ولا تهابوا كثرة عدوكم .. « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله .. والله مع الصابرين » البقرة : ٢٤٩

إن النصر من عند الله وحده ، فلا تبتغوه إلا منه ، ولا تستعينوا عليه إلا بطاعته وتقواه .. ولا تحذروا سوى معصيته وغضبه .

إن النصر من عند الله وحده .. فلا يتطرق الوهن إلى صفوفكم ، ولا تزيد نكم الأحداث إلا قوة ، والعقبات إلا شدة وبأساً

« ولا ترکنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » هود : ٣١١

إن النصر من عند الله وحده .. فاقتفوا أثر المؤمنين الأبطال وانهجوا نهج السلف العظيم ، الذين سطروا لكم صفحات من نور ، وتركوا آيات من المجد والفخار .. « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم » آل عمران : ١٧٣ و ١٧٤

مطبوعات شباب سيدنا محمد ﷺ

١ - رسالة الأنصار	١٢٨ صفحة	٥٠	مليما
٢ - منهاج الدعوة	١٢٨ »	٥٠	»
٣ - دعامات الدعوة	٥٠ »	٢٠	»
٤ - شروط العضوية	٥٦ »	٢٠	»
٥ - الفارس المصلوب (حياة البطل عبد الله بن الزبير) للأستاذ محمد فهمي عبد الوهاب	٣٣٠ صفحة	٢٠٠	»
٦ - مؤامرات ضد الأسرة المسلمة بقلم الأستاذ محمد عطية خميس المحامي	١١٠ صفحة	٥٠	»
٧ - رسالة الطلاق وتعدد الزوجات		٥٠	»
٨ - المرأة والحقوق السياسية المزعومة		٣٠	»

مطبعة شباب محمد ﷺ

٢

Princeton University Library
32101 063171944

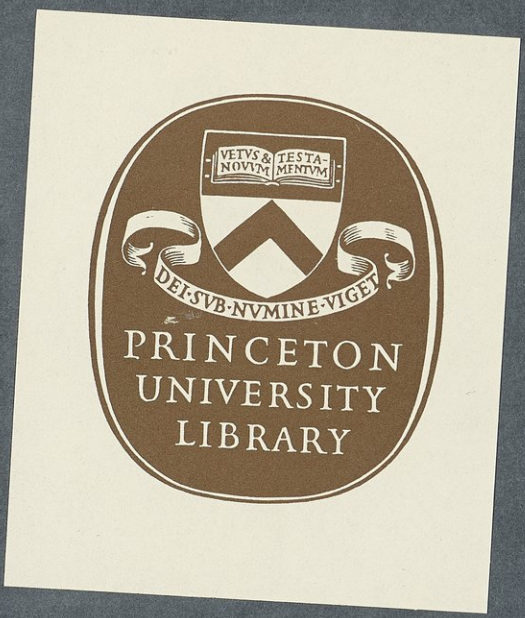

Princeton University Library
32101 063171944
BJ1292
.Y6
D525
1900z
AP

DI'AMAT AL-DA'WAH WA-USUS ALLATI TAQUM 'ALAYHA